بسم الله الرحمن الرحيم

**سلسلة كيف نفهم هذه الآية**

**من الآية 2 إلى الآية 14 من سورة النجم**

الشيخ/ خالد بن عثمان السبت

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فسلام الله عليكم ورحمته وبركاته.

من الآيات التي قد تُفهم على غير مراد الله -تبارك وتعالى- ما جاء في صدر سورة النجم، فالله -عز وجل- يقول: **{وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى}** [النجم:1]، "والنجم" الله -تبارك وتعالى- أقسم به وأطلق، ويتجه ذلك إلى ما اشتُهر بهذا الاسم وهو النجم المعروف، وإن قال من قال من السلف بأن المراد بالنجم هو النبات الذي لا ساق له، وبعضهم يقول: هو ما ينزل من القرآن؛ لأن القرآن نزل مُنجماً، وهذا الذي اختاره الحافظ ابن القيم -رحمه الله-، واحتج له بما بعده من قوله تعالى: **{مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى \* وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى \* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى}** [النجم:2-4]، فكان يقول بأن ذلك جميعاً يتعلق بالوحي، والأقرب الذي عليه الجمهور من المفسرين وهو اختيار كبير المفسرين ابن جرير -رحمه الله- أن المقصود بالنجم هو النجم المعروف، وخصه بعضهم بالثُّريا([[1]](#footnote-1))، وقالوا: إنه الأشهر عند العرب، وإذا أطلقوا النجم قصدوه، ولكن هذا لا دليل عليه، فالنجم يصدق على النجم مطلقاً، ومن ذلك الثُّريا.

**{وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى}** [النجم:1]، بعضهم يقول: للغروب.

وبعضهم يقول -وهو الأقرب-: إذا هوى يُرمى به ويُرجم الشياطين الذين يسترقون السمع، كما قال الله -عز وجل-: **{وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ \* لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ \* دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ \* إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ}** [الصافات:7-10]، ويقول: **{وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ}** [الملك:5]، فالحاصل أن الله أقسم بالنجم في هذه الحال إذا هوى، قال: **{مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى \* وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى}** [النجم:2-3]، "ما ضل" ما ذهب عن الحق والصواب، "وما غوى" أي: أنه لم يحصل له غواية، وإنما هو مُهتدٍ -عليه الصلاة والسلام- الهُدى الكامل، فالله -عز وجل- يؤيده بالوحي، قال: **{وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى}** [النجم:3]، وما قال: وما ينطق بالهوى، فإن قوله: **{وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى}** [النجم:3]، أبلغ من التعبير بـ: وما ينطق بالهوى؛ لأن الذي لا يصدر عن الهوى لا يمكن أن ينطق به، فنفى عنه أن يكون صدور ذلك من هوى، فكيف ينطق بالهوى؟، ولهذا قال: **{وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى}** [النجم:3]، وما قال: بالهوى، **{إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى \* عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى}** [النجم:4-5]، وهو جبريل -عليه الصلاة والسلام-، كما قال الله -عز وجل-: **{قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ}** [البقرة:97]، وقال: **{نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ \* عَلَى قَلْبِكَ}** [الشعراء:193-194]، فالقرآن يفسر بعضه بعضًا.

**{عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى \* ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى}** [النجم:5-6]، "ذو مِرة" أي: قوة وشدة في الخلق، وقد رآه النبي -صلى الله عليه وسلم- سادًّا ما بين الأفق، له ستمائة جناح، وبعضهم قال: "ذو مِرة"، أي: حصافة في الرأي، وهذا قال به كثير من السلف، والحافظ ابن القيم فسره بأنه ذو مرة، أي: صورة حسنة([[2]](#footnote-2))، وهذه المعاني جميعاً كلها صحيحة، فجبريل -عليه الصلاة والسلام- موصوف بذلك جميعاً، كمال الخَلق، وحُسن الخَلق، مع القوة والشدة وحصافة الرأي والنظر وما أشبه ذلك، فالملائكة لهم من الكمالات -كما هو معلوم- ما ليس للبشر.

**{ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى}** [النجم:6]، هذا موضع الشاهد وما بعده، "علّمه" أي: جبريل، علم النبي -صلى الله عليه وسلم-، "شديد القوى ذو مرة" هذا من صفة جبريل -عليه الصلاة والسلام-، **{ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى}** [النجم:6]، من الذي استوى؟ بعضهم يقول: استوى، أي: جبريل -عليه الصلاة والسلام- بعدما نزل بالوحي ارتفع في الأفق، وقد رآه النبي -صلى الله عليه وسلم- على كرسي بين السماء والأرض، نزل إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فعلمه ثم بعد ذلك ارتفع، فاستوى، أي: علا وارتفع، وهذا أحد معاني الاستواء.

وبعضهم يقول: ذلك حينما عُرج بالنبي -صلى الله عليه وسلم-، استوى، أي: النبي -صلى الله عليه وسلم-، ارتفع مع جبريل -عليه الصلاة والسلام.

**{وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى}** [النجم:7]، يعني: جبريل -عليه الصلاة والسلام-، وهذا على هذا المعنى إذا قلنا: إن الذي استوى وارتفع هو النبي -صلى الله عليه وسلم- فيه تفريق الضمائر، والأصل توحيد مرجع الضمائر قدر الإمكان، ولذلك فإن الأقرب -والله أعلم- أن الذي استوى هو جبريل -عليه الصلاة والسلام- ارتفع بعدما أوحى إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-، فكل ذلك من صفة جبريل.

قال: **{ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى \* فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى \* فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى}** [النجم:8-10]، **{ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى}** [النجم:8]، من الذي دنا فتدلى؟ من الناس من يفهم أن المراد بذلك هو الله -سبحانه وتعالى-؛ لأن الله قال بعده: **{فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى}** [النجم:10]، قالوا: اقترب الله -عز وجل- من نبيه -صلى الله عليه وسلم- حتى كان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى، هذا وإن قال به قليل من السلف إلا أن القول الذي عليه الجمهور، بل نقل عليه الدارمي -رحمه الله- الإجماع، وهو الذي لا ينبغي العدول عنه أن الذي دنا فتدلى هو جبريل -عليه الصلاة والسلام-، دنا من النبي -صلى الله عليه وسلم-، وليس ذلك من دنو الله، وهذا الشاهد الذي أردت أن أنبه عليه؛ لئلا تُفهم الآية على المعنى الآخر، دنا جبريل فتدلى، دنا ثم ازداد في الدنو، وابن جرير -رحمه الله- يقول: تدلى فدنا، يقول: فيها تقديم وتأخير، والأصل في الكلام الترتيب إلا لدليل يوجب القول بالتقديم والتأخير.

 **{ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى \* فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ}** [النجم:8-9]، "فكان" أي: جبريل، "قاب قوسين" يعني: على قدر قوسين، والقوس بعض أهل العلم يقول: هو من المقبض إلى طرف القوس، يعني: ممكن أن نقول النصف من المقبض إلى الطرف هذا قوس، ومن المقبض إلى الطرف الآخر قوس آخر، فيكون قاب قوسين.

وبعضهم يقول: القوس من طرفه إلى طرفه، فعلى هذا يكون القوسان أوسع من هذا.

وبعضهم يقول: من الكبِد -كبد القوس- التي يوضع فيها السهم إلى رأس السهم، إلى رأسه، الشاهد أنها مسافة قريبة جدًّا **{فَكَانَ قَابَ}** [النجم:9]، يعني: على قدر قوسين **{أَوْ أَدْنَى}** أو أقل، "أو أدنى" هنا ليست للشك؛ لأن الله -عز وجل- يعلم دقائق الأشياء ومثاقيل الذر، وإنما مثل هذا إذا رأيتَه في القرآن كيف تفهمه؟ كما قال الله -عز وجل- عن يونس -صلى الله عليه وسلم-: **{وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ}** [الصافات:147]، هل هذا للشك؟.

الله يعرف قدرهم تماماً فلماذا قال: **{أَوْ يَزِيدُونَ}**؟ [الصافات:147].

بعض أهل العلم قال: إن "أو" هنا بمعنى بل يزيدون.

وبعضهم يقول: إن هذا جرى فيه الخطاب بحسب نظر المخاطب، كما قال الله -عز وجل- لموسى وهارون -عليهما الصلاة والسلام- لما أمرهما بدعوة فرعون: **{فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى}** [طه:44]، والله يعلم أنه لن يتذكر ولن يخشى، مع أن "لعل" تأتي بمعنى الترجي، وإنما الذي يقع له الترجي هو من لا يعلم عواقب الأمور، تقول: لعل المطر ينزل، لعل المسافر يقدم، أما الله -عز وجل- فهو علام الغيوب، فيكون هذا **{لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى}** [طه:44]، أي: على رجائكما، إلا إذا فُسرت "لعل" هنا بمعنى التعليل أي: من أجل أن يتذكر أو يخشى، وهو أحد معانيها، الشاهد: تجدون مثل هذا في القرآن، فما المراد به؟ هل المراد به الشك؟.

الجواب: لا، وإنما المراد به **{فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى}** [النجم:9]، بمعنى بل أدنى، أو أن ذلك يقال بحسب نظر الناظر منكم، بمعنى لو نظر إليه يقول: قاب قوسين أو أدنى، لو نظر إلى هؤلاء الذين بُعث إليهم يونس بن متى -صلى الله عليه وسلم- فإنه يقول: مائة ألف، أو يزيدون، بحسب الناظر، أما الله فيعلم عددهم، فهذه من وجوه الاستعمال والتعبير في القرآن الكريم.

فهنا: **{فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى \* فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى}** [النجم:9-10]، أوحى جبريل إلى عبده، أي: إلى عبد الله -عز وجل-، مع أن الله لم يرد له ذكر، ولكن العرب تعيد الضمير إلى غير مذكور ثقة منها بفهم السامع إذا كان المعنى لا يخفى، فهو ليس بعبد لجبريل -عليه الصلاة والسلام-، وإنما هو عبد لله، ولهذا قال: **{فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى}** [النجم:10]، وأبهمه هنا، أبهم هذا الذي أوحاه تفخيماً وتعظيماً.

ثم قال: **{مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى}** [النجم:11]، لم يُكذِّب قلبُ النبي -صلى الله عليه وسلم- ما رأته عينه، والإنسان أحياناً يرى أموراً عجيبة هائلة ولكنه قد يتهم بصره، يقول: لا يمكن، لربما صورت لي الأشياء بغير حقيقتها، لربما كنت في حال من الانبهار والذهول، فرأيت الأمور بغير صورتها الحقيقية، قد يُكذِّب القلبُ -الذي هو العقل- العينَ فيتهم النظر، هنا لا، **{مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى \* أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى \* وَلَقَدْ رَآهُ}** [النجم:11-13]، يعني: جبريل -صلى الله عليه وسلم-، **{نَزْلَةً أُخْرَى}** [النجم:13]، أي: مرة أخرى، **{عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى}** [النجم:14]، ولهذا فإن المرة الأولى هذه التي تحدث الله عنها هي حينما نزل عليه كما جاء عن عائشة -رضي الله عنها-: "رآه في أجياد، سادًّا ما بين الأُفق"([[3]](#footnote-3))، حينما قال لها مسروق: يا عائشة، هل رأى النبي -صلى الله عليه وسلم- ربه؟ فقالت: لقد قفّ شعري مما قلت، فقال: لا تعجلي عليّ، ثم قرأ عليها هذه الآيات، وفيها قوله: **{فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى}** [النجم:10]([[4]](#footnote-4))، قال ابن مسعود: "رأى جبريلَ له ستمائة جناح"([[5]](#footnote-5))، وقالت: "من حدثكم أن محمداً -صلى الله عليه وسلم- رأى ربه فقد كذب"([[6]](#footnote-6))، والنبي -صلى الله عليه وسلم- قال: ((رأيت نوراً))([[7]](#footnote-7))، وقال: ((نوراً أنّى أراه))([[8]](#footnote-8))، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- لم يرَ ربه، وما نُقل عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه رأى ربه المقصود به أنه رآه بقلبه لا بعين رأسه([[9]](#footnote-9))، رآه بقلبه وذلك بالعلم ومعرفة كمالاته وأوصافه وما إلى ذلك، وما يليق به وما لا يليق -جل جلاله.

**{وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى \* عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى}** [النجم:13-14]، سدرة المنتهى ينتهي إليها ما يُرفع إلى السماء، وقيل: ينتهي إليها علم الخلائق فلا يعرفون شيئاً عما وراءها، وجبريل -عليه الصلاة والسلام- حُدّ له حد ووقف عنده، ولم يستطع في ليلة المعراج أن يجاوزه، وهو أعظم الملائكة.

**{عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى}** [النجم:15]، قيل: تأوي إليها أرواح الشهداء، وهذا الذي اختاره الحافظ ابن القيم -رحمه الله-، وقيل: يأوي إليها آدم، والأقرب -والله أعلم- أن جنة المأوى أنها اسم من أسماء الجنة، فيأوي إليها من كتب الله -عز وجل- له دخولها، مأوى، ثم قال: **{إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى}** [النجم:16]، رأى من التهاويل وأموراً عجيبة عظيمة، **{مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى}** [النجم:17]، ما مال عن هدفه المرئي، "وما طغى" ما تجاوز الحد وما نظر إلى أشياء فوق ما حُدّ له، وإنما نظر فقط إلى ما قدر الله له أن يراه، **{مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى \* لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى}** [النجم:17-18]، أي: رأى من الآيات العظام.

وبعضهم يقول: رأى من آيات ربه الآية الكبرى، كما قال الله -عز وجل- عن موسى -صلى الله عليه وسلم-: **{فَأَرَاهُ الآيَةَ الْكُبْرَى}** [النازعات:20]، وهي العصا، مع أن الله قال: **{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ}** [الإسراء:101]، وأعظم هذه الآيات كانت العصا، إلى آخره، فالشاهد هنا أن الله -عز وجل- قال: **{ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى}** [النجم:8]، هذا جبريل، **{فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى}** [النجم:9]، ليس للشك، فالله يعلم مقدار ذلك تماماً بلا زيادة ولا نقصان، وإنما وجْهُ ذلك من العربية ما ذكرتُ، والله تعالى أعلم.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه.

1. - تفسير الطبري (22/ 5). [↑](#footnote-ref-1)
2. - إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (2/ 129). [↑](#footnote-ref-2)
3. - أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء: آمين فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه، برقم (3234). [↑](#footnote-ref-3)
4. - أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: **{عَالِمُ الغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا}** [الجن:26]، وَ **{إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ}** [لقمان:34]، و**{أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ}** [النساء:166]، **{وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلاَ تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ}** [فاطر:11]، **{إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ}** [فصلت:47]، برقم (7380). [↑](#footnote-ref-4)
5. - أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء: آمين فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه، برقم (3232)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب **{وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى}**، برقم (174). [↑](#footnote-ref-5)
6. - أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: **{عَالِمُ الغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا}** [الجن:26]، و **{إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ}** [لقمان:34]، و**{أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ}** [النساء:166]، **{وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلاَ تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ}** [فاطر:11]، **{إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ}** [فصلت:47]، برقم (7380). [↑](#footnote-ref-6)
7. - أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب في قوله -عليه السلام-: ((نور أنّى أراه))، وفي قوله: ((رأيت نورًا))، برقم (178). [↑](#footnote-ref-7)
8. - أخرجه أحمد في المسند، برقم (21498)، وقال محققوه: "إسناده صحيح على شرط مسلم". [↑](#footnote-ref-8)
9. - أخرجه النسائي في السنن الكبرى، برقم (11473)، وأحمد في المسند، برقم (2580)، وقال محققوه: "صحيح موقوفا"، والطبري في تفسيره (22/ 32). [↑](#footnote-ref-9)